زواج الأقارب واليوجينيا

من الأمور، التى كانت محل دهشة من كثيرين، أن الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق، كان يتباهى بأن عروقه تجرى فيها ثلاثة دماء: الدم الأيرلندى والدم البريطانى والدم الألمانى، بيْد أن علماء الوراثة لم يكن يدهشهم ذلك، بل كانوا يُرجعون سر حيوية الأمريكى، من الناحية الجسمانية والعقلية، إلى الاختلاف والتباين، بين الطوائف التى نزحت إلى أمريكا واستوطنتها، فامتزجت دماؤها، من خلال التزاوج، بين هذه العناصر المتباينة، من الناحية الوراثية؛ فأدى ذلك إلى التحسين الوراثى للأمريكيين بشكل عام.

أما بالنسبة لنا، فلازالت تنتشر فى بلادنا، بعض العادات والتقاليد، التى لم يمحها الزمن وتغيراته، والعلم وتقدمه، ومن هذه العادات زواج الأقارب، وهو ما يُعرف فى علم البيولوجيا بـ «الإندوجامى» Endogamy، حيث تشير بعض الإحصاءات الحديثة إلى أن نسبة انتشاره تنحصر فيما بين ٢٥ و٤٢٪ فى مصر[1]. ومهما كانت الدوافع لتفشى هذه الظاهرة لاسيما فى المناطق الريفية وفى صعيد مصر سواء كانت اقتصادية أم اجتماعية أم غيرها، فإنها ظاهرة يجب إعادة النظر

(١) انظر فى ذلك جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩ سبتمبر ٢٠٠٦، ص٣٠.

فيها، فى ضـوء معطيات العلم الحديث، بل ومن قبل ذلك فى ضوء من القرآن الكريم والسنة النبوية الكاشفة والهادية إلى سواء السبيل.

ينصـح علماء الوراثة، طبقا للمفهـوم الحديث للطب الوقائى، بعدم التـزاوج من الأقارب، خصوصا وإن كانـوا يحملون صفات غير مرغوب فيها. إذ إن زواج الأقارب يؤدى إلى عزل السلالات النقية، وبذلك تكون النتيجة سيئة بالنسـبة للذرية، ولكنهم لا ينصحون بمنع هذا الزواج إن كانت العائلة تتمتع بصفات مرغوب فيها، كالذكاء، والقوة البدنية، مع خلوهم من العيوب الخلقية، أو الاستعداد لبعض الأمراض المعروفة بارتباطها بالوراثة، فتكون النتيجة فى هذه الحالات جيدة.

هذا، وقـد كانت عادة زواج الأقارب من الدرجـة الأولى (التى تضم الأب والأخ والأخت) متفشـية علـى عهد قدماء المصريين، وقد أدت إلى انقراض هذه العائـلات، ومن المعروف أن كليوباترا كانت متزوجة من أخيها، قبل مغامراتها مع قيصر ومن بعده أنطونيوس وغيره.

وبوجه عـام، فإن زواج الأقـارب يعتبر من صور الـزواج المفضل لدى الشـرقيين عامة، والبيئة العربية بوجه خاص، إلا إنه قد ثبت أن لهـذا النوع من الزواج مسـاوئ جمَّة، فمن عيـوب هذا الزواج أن السـلالات الناتجة تكون عُرضَة للإصابة بأمراض كثيرة، كالسرطان والـدرن والجنـون الخفيف والبلاهـة والتخلف العقلـى، كما يولد الأطفـال الناتجـون من هـذا الزواج، بـأوزان تقل كثـيرا عن أوزان

الأطفـال العاديين، الناتجين من زواج الأباعد Exogamy. كما تظهر على بعض هؤلاء الأطفال العيوب الخلقية، كغياب الأسـنان القاطعة العلوية، والتحام سُـلاميات الأصابع وقد يولـد الأطفال صُما بُكما؛ وذلـك لوجود عيوب فى مراكز السـمع فى المـخ. وقد تنخفض مرات الحمـل نتيجة لنقص خصوبة هذا الزواج، أو لموت الجنين فى أطواره الأولى، كما أظهر المسح الوراثى للمواليد زيادة نسبة حدوث الولادات المبكـرة، مما نجم عنها زيادة نسـبة الوفيات بين هـؤلاء الأطفال، ثم تزيد نسـبة النقص فـى الخصوبة جيلا بعد جيـل إلى أن يحدث العُقـم الكامل، فيؤدى ذلك إلى انقراض العائلات التى تعتمد على هذا النظـام الزواجى. ومن الأمراض التى كشـفت عنها البحوث الحديثة أمـراض خلل التمثيل الغذائى ومرض «ويلسـون» فى الكبد، وضمور المخ، وأمراض الدم الوراثية، وأشهرها أنيميا البحر الأبيض المتوسط (ثلاسـيميا)، وأنيميـا الخلايا المنجليـة، ونزيف الـدم الوراثى أو النـزاف (الهيموفيليا)، ومرض الكليـة المتحوصلة، الذى يؤدى إلى الفشل الكلوى. أما الدراسات الطبية فى المملكة العربية السعودية فقد أوضحت أن ٧٣٪ من حالات استسقاء المخ واعتلالات الجهاز العصبى فـى الأطفال حديثى الـولادة ترجـع إلى زواج الأقارب. كما تشـير الإحصاءات العالمية والمحلية إلى أن أعلى نسـبة من الحالات المرضية

المرتبطة بالحمل مثل فقر الدم وتسمم الحمل والنزيف والإجهاض وارتفاع معدلات الولادات القيصرية كانت بين الأمهات المتزوجات من أقاربهن[1].

ولذلك فقد حرم الإسلام وبعض الشرائع والثقافات الأخرى زواج الأقارب الأقربين، وهم ما يعرفون بالمحارم، فقد جاء من قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ النساء: ٢٣.

وتفسير ذلك إنما يرتكز على بعض الحقائق الوراثية، التى تم اكتشافها حديثا، حيث إن بعض الصفات الوراثية، المُسببة لكل هذه العيوب والصفات، توجد بصورة متنحية، أى إنها قد لا تظهر على الفرد، وإن كانت فى نفس الوقت كامنة فيه، وعند تزاوج الأقارب

---

(١) المصدر السابق، الموضع نفسه.

تزداد فرص اجتماع وتركيز مثل هذه الصفات، فتظهر فى صورة نقية، ويؤدى تركيزها وظهورها فى هذه الحالة إلى أوخم العواقب.

أما فى حالة زواج الأباعد، فهناك دائما فرصة كبيرة، لبقاء نسب الخليط فى الصفات كما هى، بل قد يزيد فى نسبة تخفيضها. فلا يؤدى ذلك إلى تركيز الصفات وعزل السلالات. وإضافة إلى ذلك فقد يؤدى إلى قوة الخليط، حيث إن السلالات المُهَجَنة تفوق عادة كلا الأبوين والجدين قوة وصفات. وأحب أن أضيف هنا شيئا حول القبس النورانى الذى يودعه الله قلب عباده المتقين فينطقون بالحق الذى يوافق الحقيقة، من ذلك ما ينسب إلى النبى- صلى الله عليه وسلم- تارة، وقد ينسب أيضا إلى سيدنا عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- حول هذه القضية، وقد يحتاج الأمر إلى بحث لمعرفة قائله على وجه الحقيقة لا على سبيل التخمين، وهو: «اغتربوا لا تضورا»، أى انتهجوا أسلوب زواج الأباعد حتى لا تضعفوا. وقد ورد عن الإمام الشافعى- رحمه الله- كراهته زواج الرجل من عشيرته الأقربين؛ وذلك لأن من مقاصد النكاح اتصال القبائل لأجل التعاضد والمعاونة واجتماع الكلمة[1].

ويعلل بعضهم لكراهة زواج الأقارب بقوله: ولعل هذا لما بين

---

(١) شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربينى(١٩٩٤). مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج. الجزء الرابع. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية. بيروت ص٢٠٦.

الزوجين القريبين من الألفة التى تكون من أسباب ضعف الميل، وفتور الرغبة، ولأن الزواج بالغرائب يغذى النسل بصفات وطبائع وغرائز وأذواق يزداد بها قوة وحُسْنا. فهو أشبه بتطعيم النباتات، كتطعيم نوع من أشجار الفاكهة بنوع آخر يزيده بركة وحسنا وجودة[1].

ومع ذلك فإن الوقاية من بعض آثار زواج الأقارب وتجنب ظهورها ممكن بشرط الوعى بضرورة ذلك، ويتأتى هذا بالاستشارات الوراثية قبل الزواج وقبل الحمل، واعتماد أسلوب التثقيف الصحى فيما يختص بزواج الأقارب كجزء من برنامج الصحة الإنجابية، وضرورة تبنى ذلك فى المراحل التعليمية المختلفة، وبرامج خدمات تنظيم الأسرة. وكذلك فإن الفحوص الطبية والوراثية قبل الزواج، ولاسيما تلك التى تتعلق بالزوجين حاملى المرض، دون أن يظهر عليهما، كظهور أى أعراض مرضية تشى به، هى التى تحدد ضرورة العلاج الجينى، فى حالة رغبة وإصرار الزوجين فى إتمام هذا الزواج، على الرغم من وجود مخاطر إنجاب أطفال سيعانون من أمراض معينة، كأمراض الدم الوراثية على سبيل المثال؛ ذلك أن هناك احتمال بنسبة ٢٥٪ فى إنجاب أطفال يعانون من هذا المرض، فى حال كوْن الزوجين يحملان عوامله الوراثية.

---

(١) على حسب الله (ب. ت.). الزواج فى الشريعة الإسلامية. ص١٨.

اليوجينيا أو علم تحسين النسل:

وليس معنى ذلك أن زواج الأباعد فيه ضمان دائم أكيد، لإنجاب السلالات المتازة، خاصة إذا ما تم بين أفراد من عائلات، فيها صفات متنحية، غير مرغوب فيها، فتكون النتيجة تجميع وتركيز مثل هذه الصفات الرديئة، تماما مثلما يحدث فى زواج الأقارب، وفى هذا يوجهنا الرسول صلى الله عليه وسلم «تخيّروا لنطفكم فإن العرق دساس»، أى إنه عند اختيار الزوجة، أو قبول الزوج، يجب الاستبصار وحسن الاختيار، وهذا أساس مكين لعلم الوراثة كما يُعتبر أيضا أساسا هاما لعلم تحسين النسل Eugenics، الذى لم يظهر إلا حديثا (عام ١٨٨٣) على يد العالم الانجليزى فرانسيس جالتون، وأكدت بعض حقائقه مبادئ علم الوراثة فيما بعد، وذلك بعد ما يقرب من ثلاثة عشر قرنا من تعاليم الإسلام الحنيف بهذا الخصوص! بيد أن علم تحسين النسل لم يكن معروفا فى ذلك الحين، إذ إن قواعده لم تكن معروفة حتى عام ١٩٠٠، ومعنى هذا أن الوسائل العلمية لتحسين النسل لم تكن فى عهد فرانسيس جالتون على أساس متين، فقد كانت أكثر حقائقه مجهولة، وما عرف منها كان فى كثير من الأحايين مشوها. ولم تكن أسرار العوامل الوراثية أى الناسلات أو «الجينات» قد عرفت بعد.

ومع ذلك فإن الغرب قد وظف علم اليوجينيا (شأنه فى ذلك شأن

بعض العلوم والنظريات العلمية الأخرى) توظيفا أيديولوجيا، بحيث يخدم توجهات الغرب العنصرية أو اللاإنسانية، بيْد أننا نأخذ منه الحقائق العلمية لنستفيد من عطائها، ونبتعد عن مثل هذه التوجهات الأيديولوجية، التى قد يستخدمها الغرب لأغراض أخرى، وربما غير إنسانية؛ إذ ما كاد علم التحسين الوراثى يكشف عن بعض حقائقه، فى الأوساط العلمية، خاصة فيما يتعلق «بالناسلات السوداء» حتى هلل لها الأرستقراطيون البيض وكبرّوا، بزعم أن تلك الناسلات السوداء وحدها هى التى يُعزى إليها وجود الطبقات البشرية المنحطة، وأن خير وسيلة لإصلاح العالم الذى نعيش فيه هو تحسين النسل، بتفادى الزواج بين ذكر وأنثى يحمل أحدهما أو كلاهما تلك الناسلات. وقد قوبلت بعض وسائل هذا المنهاج بالترحاب حينا، وبالسخط وعدم الرضا حينا آخر، واعتنقتها أمم ونبذتها أخرى. حتى إن بعض الدول قد أباحت بل سنت بعض القوانين، التى تنظم تعقيم بعض الأفراد من الجنسين؛ وذلك لتجنيب المجتمع ويْلات ذريتهم غير المرغوبة فيها، حدث ذلك فى أمريكا عام ١٩٠٧ وعام ١٩٥٠، وهناك من بلدان أوربا ما انتهجت ذات السبيل، فقد أصدرت قوانين التعقيم تلك كل من سويسرا وفنلندا والنرويج والدانمرك، أما ألمانيا فقد أمعنت فى هذا الإجراء لاسيما فى العهد النازى[1].

---

(١) د. أمير بقطر (١٩٦٤). أنت وأنا. دار الهلال بالقاهرة. ص٢١٩.

وسائل تنظيم الأسرة

في ثلاثينات القرن الماضى، يذكر طبيب النساء المصرى ذائع الصيت الدكتور على باشا إبراهيم- رحمه الله، قصة مؤثرة ذات دلالة هامة، له علاقة بتنظيم النسل ووسائله غير المناسبة فى ذلك الوقت. يقول الرجل: منذ ١٩ عاما حدث حادث كان له تأثير شديد فى نفسى، وما زلت أذكره فى كل حين، فقد جاءتنى عروس شابة، بدت عليها أعراض التسمم الدموى، ولم تكن قد زُفت إلى عريسها الشاب إلا منذ شهور، بيْد أنها حملت منذ اليوم الأول لزفافها، ولم تكن تريد أن تصبح أما بهذه السرعة المذهلة، فأرادت أن تجهض نفسها، فأصيبت بالتسمم الدموى، ولما جاءت كانت فى خطر؛ ومن ثم فقد حاولت مع زملائى إنقاذها من الموت، ولكنه كان قد هصر غصنها الرطيب، وقضى على زهرة شابة لما يتفتح صبح شبابها بعد! وخرجتُ أرى زوجُها يبكى بكاء مؤثرا مُرا. ويضيف الدكتور على إبراهيم: ظلت هذه الحادثة عالقة بذهنى، على مر السنين، وكان يزيد اهتمامى كلما رأيت الحالات الكثيرة التى تتعرض فيها المرأة للآلام الشديدة، وللإصابة بالمضاعفات والمتاعب، واعتلال الصحة فترة طويلة

من الحياة، أو مدى الحياة. وقد يصيبها العقم، وقد تقضى على حياتها بنفسها؛ نتيجة الجهل بوسائل منع الحمل، واضطرارها لإجهاض نفسها بعد حدوث الحمل. ثم يُردِف قائلا: ماذا تفعل العروس إذا كانت معتلة الكليتين أو القلب أو مصابة بالسُّل؟ وماذا تفعل الأم إذا كان لديها خمسة أطفال تقوم بشئونهم بالكاد، وموارد زوجها لا تكفيهم حتى يستعينوا بخادمة؟ أنتركها بدون وقاية من الحمل، حتى تحمل، ثم تضطر للإجهاض وعواقبه الوخيمة؟ أو نعلمها وسائل منع الحمل المناسبة لئلا تتعرض لعواقب الإجهاض؟

تذكرت هذه الكلمة من مخزون قراءاتى، فى بواكير الصبا، وهى من وضع طبيب النساء العبقرى الدكتور على باشا إبراهيم- رحمه الله، وقد استعان بها الدكتور محمد فتحى، فوضعها فى مستهل كتابه القيم حول: «منع الحمل»[1]. ولذلك فقد رأيت أنه من المناسب أن يحتوى هذا الكتاب على موضوع أهم وأحدث الوسائل المستعملة عالميا فى تنظيم وضبط النسل، لتختار المرأة ما يناسبها منها، بعد استشارة طبيبها، وحتى لا نواجه بحوادث تشبه ما واجهها المرحوم الدكتور على إبراهيم وغيره.

---

(١) د. محمد فتحى (١٩٦٢). منع الحمل. الطبعة الثالثة. مكتبة النهضة المصرية.

وسائل تنظيم الأسرة وضبط النسل:

أولا: الوسائل الدائمة:

وتعتمد على التعقيم الجراحى، وتتم فى الأنثى باستئصال جزء من بَوقَىْ الرحم ثم يربطان، وعلى هذا يُقطع الطريق على البويضات، فلا تستطيع أن تنتقل من المبيضين إلى الرحم فيمتنع الحمل بعد الجماع. وتجرى هذه الطريقة للنساء المصابات بأمراض تستوجب منع الحمل نهائيا، حيث يشكل الحملُ خطورة على حياتهن، كأمراض القلب والدرن وغيرها. وقد تُتبع هذه الطريقة مع النساء ذوات الأحواض الضيقة، حيث لا يلدن إلا بفتح البطن فيشكل ذلك خطورة على حياتهن، خصوصا إذا ما تكرر أكثر من مرة. هذا، ولا تؤثر هذه العملية فى الناحية الجنسية لدى الأنثى.

□ أما تعقيم الرجال، فهو أسهل جدا حيث تتم هذه العملية خلال عدة دقائق معدودة وبتخدير موْضِعىَ حيث تُربط قناتا المنى، وعلى الرغم من أن هذه العملية تسبب عقما دائما للرجل إلا إنها لا تؤثر على قوته الجنسية.

□ وقد ذكر الدكتور أحمد الشرباصى أنه ليس فى القرآن ولا فى السَنة النبوية المطهرة نص صريح يوجب منع التعقيم، وقد أجازه بعض الباحثين حيث قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ

﴿قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ الشورى: من الآية ٥٠، محتجين فى ذلك أنه مادام أن الله تعالى جعل بعض الناس عقيما لحكمة، فلا مانع من جعل البعض عقيما لمصلحة، كما فى حالة الأمراض المزمنة والوراثية التى لا علاج لها.

ثانيا: الوسائل المؤقتة:

(أ) وسائل فسيولوجية:

١- القطع أو العزل:

وتتلخص فى القذف أو الإنزال فى الخارج بعيدا عن المرأة. وتستعمل هذه الوسيلة منذ زمن قديم، وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عنه فى الحديث المتفق عليه عن أبى سعيد قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما عليكم ألا تفعلوا، فإن الله عز وجل قد كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة» وقد قال خزيمة: إن هذا معناه: ليس عليكم جناح إذا عزلتم.

وتجدر الإشارة إلى أن منع الحمل بهذه الطريقة لا يتم بنسبة ١٠٠٪، بحيث يكفى فى بعض الأحيان أن يتبعثر السائل المنوى حول فتحة المهبل لحدوث الحمل.

٢- فترة الأمان:

يُقصد بفترة الأمان أن هناك أوقاتا لا يمكن أن يتم الحمل فى

أثنائهـا، وهذه الفترات تختلف باختلاف الأشـخاص تبعا لاختلاف نضوج البويضة. ولكنها تبدأ فى المتوسـط من اليـوم الرابع أو الخامس بعد الحيضة وتسـتمر حوالى أسـبوعين، يُقال إن المرأة تكون فيها آمنة من الحمل. ولكنها على العموم خطة لايمكن التعويل عليها، لأن الحمل كثيرا ما يحدث فى هذه الفترة التى يُظن اسـتحالة الحمل فيها، وذلك لأن الحيوان المنوى قد يسـتطيع العيش مختبئـا، لعدة أيام، ثم يظهر فجأة ليسبح ويصل إلى البويضة فيخصبها.

٣- أثر الرضاعة من الثدى:

هنـاك وجهة نظر تقول: إن معظم النسـاء لايحملن ما دمن يرضعن أطفالهن من أثدائهن، ولكن هذه الطريقة ليسـت مضمونة تماما، حيث إن هناك أحوالا كثيرة يحدث فيها الحمل، حتى فى الشهور الأولى من الإرضاع، وعلى ذلك لا يصح الاعتماد كلية على هذه الطريقة.

(ب) الوسائل الميكانيكية:

وتعتمد هذه الطرق على اسـتخدام وسائل تحجز أو تمنع من وصول الحيوان المنوى إلى البويضة لإخصابها، وأحيانا تمنع البويضة المخصبة من الاستقرار والانغراس فى الرحم، وتتضمن هذه الوسائل ما يلى:

١- الغلاف الذكرى (الكبوت):

وهو من أكثر الوسائل فعالية فى منع الحمل إلا إذا تمزق هذا الغلاف، فى أثناء عملية الاتصال الجنسى، ولذا يفضل النوع ذو الخزّان للتقليل من فرص انفجاره.

٢- الحاجز المهبلى:

وهو غشاء مطاطى مركب على حلقة مطاطية جامدة، بحيث يمكن تثبيتها فى سقف المهبل، حتى يمنع وصول الحيوانات المنوية إلى الرحم، فى أثناء عملية الاتصال الجنسى، وكل ما يلزم مراعاته فيها هو أن تكون ذات حجم مناسب للمرأة. ويستحسن أن يُطلى سطح الحاجز المهبلى ببعض أنواع المعاجين أو الكريمات القاتلة للمنى لضمان كفاءته، وتعتبر هذه الوسيلة من أنسب الوسائل، لأن كلا من الزوج والزوجة لا يشعر به فى أثناء الجماع. ويجب ألا يخلع قبل مضى ١٢ ساعة من آخر اتصال جنسى.

٣- الواقى الرحمى (اللولب):

وهى طريقة تعتمد على استخدام شريط من البلاستيك يوضع فى الرحم فيجعل بطانة الرحم غير مؤهلة لاحتضان البويضة المخصبة فيلفظها الرحم فى موعد الحيض، ويوجد من اللولب أشكال وأحجام

مختلفة. وهى وسائل ناجحة وسهلة الاستخدام، كما يشجع رخص ثمنها إلى استعمالها على نطاق واسع.

(جـ) الوسائل الكيميائية:

وتشترك هذه الوسائل فى خاصية واحدة، وهى قتلها للحيوانات المنوية، وذلك لمنعها القيام بوظيفتها وهى إخصاب البويضة وهذه الوسائل تتضمن الآتى:

١- الأقراص الفوارة (اللبوس الفوار):

تستخدم هذه الأقراص قبل الجماع بحوالى ثلث الساعة، فتُدخلُها الزوجة فى المهبل، حيث يؤدى جو المهبل الرطب إلى إذابة وفوران هذه الأقراص، فيؤدى ذلك إلى انتشار المادة الفعالة ذات التأثير القاتل للحيوانات المنوية، فيمنع ذلك من حدوث الحمل، بعد الاتصال الجنسى. وهى أيضا وسيلة ليست فعالة مائة فى المائة. ويجب ألا يتم غسيل مهبلى إلا بعد مرور ٦ ساعات على الأقل بعد الجماع.

٢- الكريمات والمعاجين:

وتحتوى هذه المواد على كيماويات (حامض اللاكتيك- الفورمالدهيد- البوراكس)، وتؤدى إلى:

- قتل الحيوانات المنوية.
- عرقلة وشل حركة الحيوانات المنوية.
- سد فتحة عنق الرحم.

وهـذه الطريقة أكثر فعالية من اللبوس الفوار. وتوضع هذه المواد فى أنبوبة، يثبت عليها قمع أو مكبس ثم يُضغط المعجون إلى المكبس، حتى يمتلىء، ثم يولج فى المهبل قبل الجماع بدقائق، ولا يُعمل غسيل مهبلى قبل ٦ ساعات.

(د) الوسائل الهرمونية:

١- أقراص منع الحمل:

وتعتمد هذه الطريقة على تعاطى أنواع معينة من الهرمونات الأنثوية؛ ولهذا نعطى فكرة عن كيفية إنتاج الخلايا الجنسية لنعرف آلية عمل هذه الأقراص.

فقد أدت دراسة وفهم العوامل، التى تتحكم فى إنتاج الخلايا الجنسية، وتكوين ونمو الجنين، إلى استحداث هذه الطريقة. فإنتاج الخلايا الجنسية سواء فى الذكر أم فى الأنثى يدعو إليه وينشطه هرمون يفرزه الفص الأمامى من الغدة النخامية (وكذلك يُولّدُ الرغبة الجنسية)، وتستجيب الأعضاء الجنسية (الخصية والمبيض) لهذه الدعوة فتنشط، لكن هذا النشاط يجب أن يكون بمعايير وضوابط، وأن

يقف عند حدود خاصة لا يتعداها، من أجل ذلك فإن الأعضاء الجنسية ذاتها، حينما تنشط، تفرز هرمونات مضادة، تُخمد مفعول الهرمونات المُنشطة الآتية من الغدة النخامية.

وفي المرأة، يصحب نضج البويضة إفراز نوع من الهرمونات هى مجموعة الإستروجين Ostrogens، وعند إطلاق البويضة من غلافها يتحول هذا الغلاف إلى الجسم الأصفر، الذى يفرز هرمونا آخر يسمى البرجسترون Progesterone، وهو الذى يُحدِثُ التغيرات اللازمة، لتحريك البويضة، وتعلّقها فى جدار الرحم (عند الإخصاب).

ولقد وجد أن تعاطى هرمونات الإستروجين والبروجسترون ينتج عنه هبوط فى نشاط الغدة النخامية، ومن ثم هبوط فى نشاط المبيض، وهكذا، فقد عُثِر على هذا الأسلوب الجديد (أقراص منع الحمل) الذى يعتمد أساسا على المواد الشبيهة بالبروجسترون (يتم تركيزها فى قُرص منع الحمل).

لكن منع الحمل لا يتطلب تقليل نشاط المبيض فقط، بحيث يؤدى إلى تأجيل نضج البويضة وانطلاقها، وإنما يقتضى منع تكوين البويضة تماما، ولذلك لا تكفى حبة واحدة لمنع الحمل وإنما لا بد من الاستمرار فى تعاطى ٢٠ قرصا من هذه الحبوب، ما بين اليوم الخامس واليوم الخامس والعشرين من بداية دورة الحيض، فتؤدى إلى التحكم بطريق غير مباشر فى النشاط المبيضى، وتمنعه من تكوين البويضات.

وهى طريقة سهلة الاستعمال وذات فعالية قد تصل إلى ١٠٠٪، وليس لها تأثير على العملية الجنسية. لكنه قد يحظر استعمالها، تحت ظروف معينة ولأسباب صحية؛ ولذا يجب استشارة الطبيب، عند استخدامها فى هذا الغرض.

٢- الحقن مُمْتدة المفعول:

وهى تشبه الأقراص فى آلية عملها، ولكنها ممتدة المفعول فقد يستمر مفعولها لمدة من شهر إلى ستة أشهر حسب نوعها، ويتم حقنها فى العضل أو على هيئة أقراص توضع تحت الجلد، وبذا يتم التغلب على متاعب التناول اليومى للأقراص، والنسيان[1].

(١) د. محمد فتحى فرج بيومى (١٩٩٨). محاضرات فى التربية الصحية. محاضرات مخطوطة، لطلاب الفرقة الأولى لكلية التربية النوعية بأشمون.

الأمراض التناسلية

الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز البشرية، ويمكن أن تكون من أنبلها، ومن أكبر المآسي البشرية أن يُعَرِّض سوء استخدامها الإنسان، إلى الإصابة ببعض من أسوأ الأمراض الميكروبية والفيروسية، ويصاب الإنسان بمعظم الأمراض الخطيرة، التي تتعلق بالقناة التناسلية البشرية؛ وذلك بالاختلاط المباشر خلال اللقاء الجنسي، وتعرف الأمراض، التي تنتقل وتنتشر أساسا بهذه الطريقة، بالأمراض التناسلية[1]. ومن أهم هذه الأمراض ما يلي:

الزهري (Venereal disease):

الزهري مرض أشد خطورة وأدعى للاحتقار من السيلان؛ ولذا فقد كان يعرف بأنه أسوأ آفات الجنس البشري، وذلك قبل تطور وسائل العلاج الحديثة، وقبل اكتشاف ما هو أسوأ منه، وهو مرض الإيدز، الذي يعرف هو الآخر بزهري العصر. والزهري من الأمراض التناسلية الخطيرة التي يمكن توريثها للأبناء، ويسببه ميكروب الزهري اللولبي المسمى تريبونيما بلليدم *Treponema pallidum* وهو مرض سريع

---

(1) John Drew (1950). Man. Microbe and Malady. A Pelican Book. A73.p.118.

العدوى والانتشار، إذا أهمل علاجه فإنه يستقر فى الجسم ليصيب آخرين فى حالة الملامسة الجلدية، وعند الاتصال الجنسى بين المصاب وغير المصاب. وقد تنتقل العدوى أيضا عن طريق الفم والشفتين أو حتى إذا شرب السليم من كوب سبقه إليه مريض بقرحة زهرية فى فمه. وقد ينتشر الميكروب إلى أعضاء حيوية مختلفة فى الجسم مسببا أعراضا مختلفة طبقا لمكان الإصابة. وفترة حضانة المرض ثلاثة أسابيع. تتمثل أهم طرق المكافحة والوقاية من هذا المرض، فى التمسك بالقيم الدينية النبيلة، وتشجيع الزواج ومكافحة كل أشكال الزنا والدعارة، وعلاج المصابين، وتوعية غير المصابين، بخطورة مثل هذه الأمراض؛ ولهذا فقد نهى القرآن الكريم، عن مقاربة الزنا، فضلا عن الوقوع فيه، فقال جل شأنه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الإسراء: ٣٢، وقال أيضا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الأنعام: ١٥١.

السيلان (Gònorrhea):

وهذا المرض أيضا مرض ميكروبى خطير، يعتبر من أقدم أمراض الإنسان الميكروبية، ويسببه نوع من البكتيريا يسمى نيسيريا جونوريا *Neisseria gonorrhoeae*. وتتم العدوى عادة عن طريق الاتصال الجنسى بين رجل وامرأة يكون أحدهما مصابا، أو عن طريق استخدام الملابس

الداخلية للمصابين، أو حتى عن طريق استخدام مقاعد المراحيض الملوثة بواسطة المرضى. وعلى الرغم من أن هذا المرض يُحدث أساسا التهابات بالجهاز البولى التناسلى إلا إنه قد يصيب أعضاء أخرى كالعين، وفترة حضانته حوالى ٤ أيام. ومع أن هذا المرض لا يورّث إلا أن المرأة الحامل المصابة قد يتعرض جنينها للإصابة برمد صديدى سيلانى حاد فى العين عند ولادته. وقد يؤدى هذا المرض إلى العقم فى كل من الجنسين. ويتشابه هذا المرض أيضا فى طرق الوقاية والمكافحة مع سابقه.

نقص المناعة المكتسبة أو الإيدز Aids:

هذا المرض يصيب أساسا نوعا معينا من القردة، التى تعيش فى وسط أفريقيا، وينتقل الفيروس المسبب لهذا المرض إلى الإنسان، عن طريق عضة القرد، وعند وصوله إلى الدم يهاجم خلايا الدم البيضاء، وهى الخلايا التى تخصصت فى الدفاع عن الجسم، ومقاومة جراثيم الأمراض؛ ومن ثم تنهار مقاومة الجسم. وقد اكتشف هذا المرض حديثا نسبيا، حوالى عام ١٩٨١. أما العدوى فتتم عن طريق الجلد والأغشية المخاطية، أو من خلال الجروح المفتوحة أو من خلال الاتصال الجنسى الشاذ وعن طريق الحقن الملوثة بميكروب المرض خصوصا فى حالة مدمنى المخدرات. أما أعراض هذا المرض فتتمثل فى تضخم الغدد الليمفاوية وظهور الأورام الحمراء الداكنة فى مناطق مختلفة من الجسم، مع فقدان الشهية

والشعور بالتعب لأقل مجهود وارتفاع فى درجة الحرارة وسعال جاف، وبعض الأعراض الأخرى. والخطير فى هذا المرض أن ميكروبه قد ينتقل للكثيرين فى حين أنهم لا يشعرون بأية أعراض، فى فترة كمونه، بيد أنهم يوزعونه على ضحاياهم ذات اليمين وذات الشمال، فيحدث انتشار هائل لفيروسات المرض فى فترة وجيزة.

هذا، وتتزايد الإصابة بين النساء عنها بين الرجال وذلك لسببين، أولهما: أن انتقال العدوى من الرجال إلى النساء أسرع من العكس. ثانيا: لأن المرأة- عادة- لا تأخذ الحيطة المناسبة لوُثُوقِها فى رَجُلها. ولما كان عدد لا بأس به من الرجال لهم علاقات غير طبيعية- شاذة- فإنهم بذلك يحملون العدوى إلى ضحاياهم من النساء.

وقد أظهرت الإحصاءات العلمية، أن نحو ٣٠٪ من الرجال، كانوا سببا مباشرا فى إصابة نسائهم، وقد ثبت أن السائل المنوى فى ٣٠٪ من حالات الإصابة بالإيدز له نفس كفاءة الإصابة عن طريق الدم. ومن ناحية أخرى، فإن الأمراض النسائية الشائعة، تضعف الأغشية الجنسية؛ فَتُزِيد من فرص الإصابة بهذا المرض اللعين. هذا، وتؤكد الإحصاءات تماما أن العلاقات الجنسية السليمة والسوية، من أهم ضمانات الوقاية من الإيدز[1].

---

(١) كلود شرمان (١٩٩٣). النساء أكثر ضحايا الإيدز. أحد موضوعات سلسلة «كنوز العلم»، العدد٣. دار الإعلام والنشر العلمى. القاهرة. ص١٢٤.

أما أهم ما يعصم الفرد والمجتمع المسلم فهو التمسك بالقيم الدينية، والبعد عن العلاقات والسلوكيات المشبوهة كما وجهنا النبى صلى الله عليه وسلم بقوله: «اتقوا الشبهات ...».

التقرحات الفيروسية (الهربس) أو الحلأ Herp:

يجتاح هذا المرض الخطير البيئات التى تنتشر فيها العلاقات الجنسية المُحرَمة والشاذة، لاسيما بين الشبان والمراهقين، الذين عادة ما يخلطون بين الحرية والفوضى الأخلاقية، التى تتمخض عن علاقات جنسية غير شرعية، وغير مسئولة.

يسبب هذا المرض كائن فيروسى دقيق يسمى هربيس جينيتاليس *Herpes genitalis*، ويصيب هذا المرض الجهاز البولى التناسلى بالتهابات مقترنة بإفراز سوائل كريهة الرائحة، ذات ألوان بيضاء أو صفراء، وقد تظهر على هيئة بقع فى الملابس الداخلية للمصابين يعقبها ظهور بثور نتيجة هذه الالتهابات الجلدية، وقد تتحول بعد الهرش إلى جروح مؤلمة. وتنتقل فيروسات هذا المرض بوساطة العدوى، من خلال الاتصال الجنسى، لتهاجم الأعصاب وتدمرها، حتى إذا وصلت إلى الحبل الشوكى أدت إلى التهاب السحايا، وقد تصل إلى المخ وفى هذه الحالة فإنها تؤدى إلى الوفاة، وهذا المرض من الأمراض التى يصعب علاجها حتى الآن، فالعقاقير العلاجية تخفف فقط من حدة المرض

بيْـد أن الفيروس يظل كامنا فى الجسـم وربما يـؤدى إلى أورام خبيثة فى الجهاز البولى التناسـلى فى كل من الرجل (سـرطان البروسـتاتا) والمرأة (سرطان الرحم). هذا، ويشكل هذا المرض خطورة بالغة بالنسبة للمواليد، فقد يصيب فيروسه هذه المواليد، فى أثناء عبورها منطقة عنق الرحم، خلال عمليات الولادة؛ فتولد فاقدة البصر أو مشـوهة الخلقة، أو ذات أمخاخ مدمرة.

أمراض النمو الحبيبى التقرحى:

ويبدو على هيئة قُرَح حويصلية أو حبيبية، تظهر فى مناطق كثيرة من الجلد، والأغشـية المخاطية لا سيما فى الأعضاء التناسلية وما يحيط بها حتى يصل إلى أعلى الفخذين وأسفل المنطقة البطنية. وينجم عن هذه الإصابـة إفرازات كريهة من الصديد والدماء والقروح، تترك حتى بعد التئامها نُدبا وتلفيات كبيرة، يصعب علاجها جراحيا.

أمراض القرح اللينة:

وهـو عبارة عن تقرحات موضعية فى الجلد والعقد الليمفاوية خاصة فى الأعضاء التناسـلية. ويظهر على هيئـة بثور صغيرة متعددة تتقرح بسرعة وتنتج إفرازات قيحية نتنة ودماء، وقد تمتد لتصيب مساحات كبيرة من الجلد مسـببة آلاما لا تحتمل ، وقـد تتليف هذه التقرحات مسببة تشوها قد يستدعى التدخل الجراحى.

أمراض النمو البلعمى الالتهابى:

ويبـدو هـذا المرض فى شـكل حويصلة أو عدة حويصـلات فى الجلد الخاص بالأعضاء التناسلية، حيث يتجمع داخلها سوائل تتقيح وتتحول إلى أورام مؤلمة من جـراء التهاب وتضخم الغدد الليمفاوية، وفى البداية تظهر هذه التورمات فى عقد منفردة، تتجمع لتصبح كتلة واحدة تشـكل خراجا أو عددا من الخراريج التى قد تتحول إلى ناسور ينتج صديدا نتنا مختلطا بدم فيصبح بؤرة لآلام مبرحة، وربما يتخلف عن ذلك تشوهات. هـذا مع مـا قد يصاحب ذلك مـن ارتفاع فى درجة الحـرارة، مع إفراز العرق، والشـعور بالغثيـان، والرغبة فى التقيؤ، مع الشـعور بآلام فى المفاصل والظهر، وفقدان الشـهية إلى الطعام، يصحبها نقص فى الوزن، حتـى إذا ما وصلت الالتهابات إلى سـحايا الدماغ، أو تحولت بعض هذه التورمات إلى النوع الخبيث، شعر المريض بالوهن والضعف العام.

الإفراز الإحليلى:

والإفراز الإحليلى هو مرض يتبين وجوده عن طريق الإفراز الذى يظهر فـى مقدمـة الإحليل، وعادة مـا يصاحبه صعوبة فى التبـول أو تعب فى منطقة الإحليل. وتحدث هذه الإصابة فى الذكور نتيجة الاتصال الجنسى بإنـاث مصابة ببكتيريا *Clamydia trachomatis*، وقد يشـكو المرضى من انسياب الصديد من القضيب وربما صاحب ذلك حرقان وألم حال التبول.

ونحمد الله تعالى أننا، فى بيئتنا الإسلامية النظيفة، لدينا من القيم الدينية المثلى، والمعايير الأخلاقية النبيلة، ما يدرأ عنا غائلة هذه الأمراض المعدية الفتاكة، سيئة السمعة، والتى- عند انتشارها- فى صورة جوائح، قد تأتى على الأخضر واليابس، فلا تفرّق- والعياذ بالله- بين صالح وطالح. وقد دلت الإحصاءات المختلفة، أنها لا تنتشر فى بلد، إلا بسبب فقدان الالتزام بالقيم الدينية، والتفريط فى تجنب ما حذر الدين والخلق القويم، من الوقوع فيه، والانزلاق إليه، من الأخطاء والخطايا.

لعنة العُنَّة والعقـــم

قد يندرج، تحت هذا الباب، حالات لاتستعصى على العلاج، عند التشـخيص السـليم، وطلب المعونة الطبية، ممن يقدر عليها من الأطباء المتخصصين. فكثير من حالات الضعف الجنسى البسيط simple impotence قد تستجيب للعلاج، بوصفات بسيطة كبعض الفيتامينات، والغذاء الجيد، وإعطاء الجسـم قسـطا من الراحة، من طاحونة الدنيا ومشـاغلها التى لا تنتهى (فكثير من عمالنا وفلاحينا الطيبين البسطاء ضحايا لهذه الحالات، بحثا عن لقمة العيش، ولا يدركون ذلك إلا بعد مداركة الطبيب واستشارته).

كما أن الابتعاد عن القلق، والاهتمام بالصحة النفسـية، بذات القدر الذى يهتم به الإنسـان بصحتـه البدنية، مع قليل من الصبر والتعقل، كل ذلك له فائدة كبيرة ، فى مثل هذه الأمور.

وكثير من حلات فقـدان الخصوبة infertility، أو ضعف الإخصاب low fertility، قد اسـتجابت للعلاج، ونحن أمة قد أمرنا بالاستشفاء، وطلـب العلاج لكل داء، كما أسـلفنا فى مقدمة الكتاب؛ مما لا نريد أن نعيـده هنا. ويُعَرَّفُ فقدان الخصوبـة طبيا بأنه: الإخفاق فى الإنجاب لمدة عام كامل، مع وجود علاقة زوجية سـليمة، وبدون استخدام موانع

الحمل المختلفة. وتجدر الإشارة إلى أن عدد الأزواج المصابين بفقدان الخصوبة، كما قدرتها منظمة الصحة العالمية، يتراوح ما بين ٥- ١٠٪، من عدد حالات الزواج فى العالم، وتزداد هذه الحالات زيادة خطيرة، بشكل خاص، فى كل من الولايات المتحدة وأوربا[1].

أما العقم sterility، الناجم عن الأمراض الخلقية والوراثية الشديدة، التى تصيب الجهاز التناسلى، فليس له علاج. ولذلك فقد قال ربنا- جل وعلا: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ الشورى: ٤٩- ٥٠.

وقبل كل شىء ومن بعده، فاللجوء إلى الله تعالى، والتوكل عليه، ودعاؤه بإخلاص، مع انتهاج طرق العلاج المختلفة، يفيد فى كثير من هذه الحالات. وقد دعا بعض الأنبياء- عليهم السلام- الله تعالى أن يهب لهم ذرية طيبة، والله تعالى قد وصف الذرية بما هى أهله فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الكهف: من الآية ٤٦. والرسول- صلى الله عليه وسلم- يبين لنا أن من بين ما يتبقى للمرء بعد انقطاع عمله ورحيله عن الدنيا: «.. ولد صالح يدعو له».

---

(١) د. محمد على البار (١٩٩٠). طفل الأنبوب والتلقيح الصناعى. الطبعة الثانية. المجموعة الإعلامية. جدة: بدران للطباعة والنشر بالقاهرة. ص١٩.

كل ذلك يحفزنا لمعرفة كنه العُنة أو العجز الجنسي، وفقدان الخصوبة أو نقصها، والفرق بينها وبين العقم، والوقوف على أسباب ذلك؛ إذ إن المعرفة الحقة والتشخيص السليم يمثلان نصف الطريق نحو العلاج، بإذن الله تعالى.

العجز والبرود الجنسيان:

يُعْزى العجز الجنسي عند الرجل، والبرود الجنسي عند المرأة، في بعض الأحيان، إلى أسباب نفسية وليس إلى أسباب عضوية. فقد يكون كل من العجز والبرود تعبير عن عجز الفرد على إقامة صلة حقيقية بشريكه؛ وذلك لأسباب لا شعورية إلى حد بعيد، هي من باب النرجسية أو الخوف أو العداء[1]، بينما هما (هو/ هي)، من الناحية العضوية سليمان، وليس بهما أي خلل يعوقهما عن الممارسة الجنسية الطبيعية. وطبيعي أن العجز الجنسي يؤدي إلى العقم المؤقت.

وتكاد أسباب العُنَّة تقتصر على العوامل النفسية في معظم الحالات، وتعتبر من أكثر الشكاوى النفسجسمانية psychosomatic ذيوعا بين الرجال، ولا تحدث نتيجة أسباب عضوية إلا في ٥٪ فقط من الحالات. وفي أكثر أنواع العنة شيوعا، لا ينتصب القضيب أو يفقد انتصابه بعد إيلاجه في المهبل. وإذا كانت المحاولة الجنسية الأولى لشاب ما تتم

---

(١) كوستلي بندلي (١٩٧٩). الجنس ومعناه الإنساني. مكتبة نبع الفكر. مصر.

مع امرأة تجرحه نفسيا؛ فقد تؤدى إلى عنة مزمنة، وهناك من يكون عنينا مع امرأة بالذات فى حين يكون طبيعيا مع أية امراة أخرى. وعلى هذا فقد يكون الرجل عنينا مع زوجته وليس مع أية امرأة أخرى- وهذا من غضب الله عليه. وقد يكون الرجل عنينا مع أية امرأة أخرى غير زوجته، وأحيانا تحل العنة بالرجل فقط فى أثناء أيام الشهر التى يمكن أن تحمل فيها زوجته. وقد يصبح الرجل عنينا فى وقت أو آخر، فالانتصاب يحدث حينما يملأ الدم خزانات دقيقة فى نسيج القضيب، والآلية التى تتحكم فى صمامات تلك الخزانات آلية حساسة إلى درجة كبيرة، حتى إن أقل ضغط نفسى قد يؤدى إلى انفتاحها مما يسبب ارتخاء القضيب، فالقلق أو الإرهاق، أو الوجود فى غرفة نوم غير مألوفة، أو سعال الأطفال فى الحجرة المجاورة، أو أى مثال لمئات المصادر المسببة للقلق، قد يؤدى إلى خمول الرجل، من الناحية الجنسية لليلة أو لعدة أسابيع، فإذا بدأ التفكير فى ذلك الأمر، أو انتابه القلق عليه، أو أخذت شريكته فى الشكوى، أو الاستهزاء به، فقد تتعقد الأمور وتُزمنُ الحالة[1].

---

(١) هوارد ر. لويس؛ مارثا أ. لويس(١٩٧٥).النفس والجسم: كيف تستطيع انفعالاتك أن تلحق الضرر بنفسك؟ مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. ص٢٤٢.

وقد أظهرت الدراسات النفسية أن الشخص العنين يغلب عليه الكبت المفروض عليه من أبويه، فهو لم يُشَجع على أن يكون رجلا، أو على الأقل لم يشجع على أن يصل إلى درجة الرجولة، التى كان يتمتع بها والده، ويحتمل أن يكون جاهلا بمسائل الجنس نسبيا، وقد يعانى عادة من مشاعر قاسية، من الإثم حيال النشاط الجنسى[1].

الغذاء والجنس:

تعتمد الحالة الصحية للإنسان، وكذا أداء أعضائه المختلفة، ومنها أعضاؤه التناسلية لوظائفها الفسيولوجية- بقدر كبير- على الحالة الغذائية لهذا الإنسان، من حيث كمية وطبيعة ما يتناوله من مواد غذائية مختلفة. ففى الحالة المثلى يجب أن يكون الغذاء كافيا من الناحية الكمية، ومتوازنا من الناحية النوعية؛ بمعنى أن يحتوى غذاؤه على جميع العناصر الضرورية والهامة للقيام بالوظائف المختلفة من:

- إمداد خلايا الجسم بالطاقة اللازمة لأداء وظائف الخلايا والأنسجة والأعضاء المختلفة.
- توفير المواد اللازمة لترميم ما يتلف من الخلايا والأنسجة لتبقى الأعضاء سليمة وقادرة على أداء مهامها.

---

(1) Conference on Sex Trans. Diseases (1975). Academic Press Lodon.

□ إمداد الجسم بالطاقة الحرارية لتستقيم بيئة الجسم الداخلية، وتنشط التفاعلات الكيميوحيوية المختلفة.

□ توفير المواد الخام التى تدخل فى بناء الجزيئات ذات الوظائف الفسيولوجية وأهمها البروتينات المختلفة.

ولا شك فى أن المقولة، التى فحواها: «قل لى ماذا تأكل أقل لك من أنت» صحيحة إلى حد كبير، فنحن لسنا إلا حصيلة ما نتناوله من غذاء، إذ إنه يتدخل فى تشكيل أجسامنا، بل ونفسياتنا، وحالتنا الصحية والمزاجية والعقلية أيضا. فجسم الإنسان إنما يتكون وينمو ويتشكل من الغذاء الذى يتناوله؛ ومن ثم فإن الغذاء الكامل والكافى يبنى الجسم بناء سليما، فهو المصدر الأساسى لمنح القوة، والتحمل العضلى والعقلى للإنسان.

والذى نؤكد عليه هنا، أن الحالة الصحية للإنسان تؤثر تأثيرا مباشرا على قدرته الجنسية وعلى حالته المزاجية، وبذلك نخلص إلى أن الحالة الجنسية للإنسان، مرتبطة ارتباطا وثيقا بنوع وكمية الغذاء، الذى يتناوله. إلا أن ثمة أنواعا غذائية معينة، تؤثر أكثر من غيرها، على الناحية الجنسية للإنسان، ومن هذه الأنواع: بعض الفيتامينات (لاسيما فيتامينات: «هـ»، و«أ»، و«ب٦»، و«ب١٢»، و«جـ»، وغيرها) والعناصر المعدنية (لاسيما الحديد واليود والزنك، والفسفور، وغيرها)، والبروتينات ذات القيمة الحيوية الممتازة، وهذه

تكون حيوانية المصدر عادة لما لهذه العناصر من علاقة وثيقة فى تكوين المركبات الحيوية فى الجسم كالهرمونات والنواقل العصبية وكريات الدم الحمراء وغيرها؛ وبذلك فهى تؤثر بشكل مباشر على الأعضاء التناسلية فى كل من الرجل والمرأة على السواء.

الحمل الكاذب أيضا نفسى:

تُعتبر دقات قلب الجنين (التى تتراوح بين ١٢٠ و١٤٠ دقة فى الدقيقة) من المؤشرات المؤكدة لعملية الحمل، والتى لا يمكن أن تختلط بظواهر أخرى، بيْد أن هذه الطريقة لم تُعرف قبل عام ١٨١٨. ومع ذلك فهناك كثير من الناس، حتى الآن، قد لا يهتمون بتقنية التسمع إلى دقات قلب الجنين، كوسيلة للتأكد من الحمل، وقد تستمر بعض النساء، اللائى يتطلعن بشغف إلى انتظار المولود، الذى قد لا يأتى، حيث إن حملهن قد يكون حملا كاذبا! والواقع أن المرأة فى أثناء الحمل الكاذب قد تبدو عليها جميع أو معظم أعراض الحمل الحقيقى، حيث ينقطع الطمث، وتشعر بأعراض «الوحم»، كما يتضخم بطنها وثدياها، وكلما يمر الوقت فإن مشيتها وهيئتها يتغيران، باتجاه يوحى بوجود حمل، وربما تشعر بحركات تشبه حركة الجنين، فى حالة الحمل الحقيقى، وربما تستمر هذه الحالة قرابة تسعة الأشهر، وهى مدة الحمل الطبيعية!

والواقـع أن الدافع لظهور هذه العوارض نفسـى وليس جسـمانيا، حيث تريد هذه السـيدة أن تعيش حقا، هذه الحالة، نتيجة لتشـوقها الطبيعى الجارف لأن تصبح أما، ولكن هذه الأعراض، يمكن تفسـيرها بتفسيرات شتى، إلا أن تكون مؤشرا لحمل حقيقى. والغريب فى الأمر أنه قد تتكرر هذه الأعراض والمظاهر، ولكن دون جدوى.

الأمراض التناسلية:

تشـكل الأمراض التناسـلية الناتجة عـن الزنا واللـواط، وغيرها من الممارسـات الشـاذة، أهم أسـباب انعدام الخصوبة فى الرجال والنساء، على السـواء، كما يذكر الدكتور البـار. فالالتهابات الناتجة عن الإصابة بالكلاميديا وحدها تسـبب ٥٠٪ من حالات انسـداد قناتـى فالوب، أما انسداد قناتى فالوب فتمثل ٦٠٪ من حالات فقدان الخصوبة لدى النساء.

أما التهاب مجرى البول الجنسـى، غير السيلان، فيعتبر من أكثر الأمراض الجنسـية المنتشـرة فى العالم، أما السيلان فمسئول عن ٢٥٪ من حالات التهاب قناتى فالوب وانسـدادهما. كما أن الهربس أيضا من الأمراض الآخذة فى الانتشار باضطراد.

وفى تقرير للأمم المتحدة: أن الأمراض الجنسية، من أكثر الأمراض المعدية انتشـارا فى العالم اليوم، وتشـكل تهديدا خطيرا على الصحة.

وللأسف فإن كثيرا من الدول لم تدرك بعد أبعاد هذه المشكلة. ويؤكد الدكتور ويلكوكس أن المشكلة فى البلاد النامية أعمق وأضخم، ذلك أنه لا يوجد إحساس بضخامة مشكلة انتشار الأمراض الجنسية، فمعظم الحالات لا تُشخص. وإذا شُخِصت فلا تتلقى العلاج الكافى[1].

ويضيف الدكتور البار أن الأمراض الجنسية المختلفة (كالسيلان والكلاميديا والزهرى والهربس) تسبب فقدان الخصوبة لدى الرجل والمرأة؛ ذلك لأنها تسبب التهاب الغدد التناسلية (كالمبيض لدى المرأة والخصية لدى الرجل)، مما يؤدى إلى انسداد أو التهاب مزمن فى قناتى فالوب والقنوات التى تحمل الحيوانات المنوية لدى الرجل (البربخ والحبل المنوى والبروستاتا والقناة القاذفة والحويصلة المنوية) وهذا كله من شأنه أن يؤدى إلى فقدان الخصوبة.

الإجهاض:

يهدد الإجهاض المرأة بفقدان الخصوبة؛ إذ يعتبر ثانى أهم سبب لفقدان الخصوبة. فالحمل الذى يحدث للمرأة فى فترة خصوبتها، ما بين الحادية عشرة إلى ما بعد الأربعين، فى حين تكون فيه غير مستعدة له فتقوم بإجهاض نفسها، فيؤدى ذلك إلى التهابات فى الجهاز التناسلى

(1) Conference on Sex Trans. Diseases (1975). Academic Press. Lodon.

للمـرأة، كثيرا ما يفضى إلى فقدان الخصوبة؛ ومن ثم يعد مسئولا عن نسبة كبيرة من فقدان الخصوبة عند النساء[1]

وثمة أسباب أخرى:

وقد عدد الدكتور البار عددا من الأسباب الأخرى منها:

□ التهـاب الحوض والمهبل: الناتج عـن التهابات الزائدة الدودية والعمليات الجراحية.

□ السل: وهو سبب مهم، خصوصا فى البلدان النامية.

□ الجمـاع فى أثناء الحيض: ينجم عن الاتصال الجنسـى فى أثناء فـترة الحيض إيذاءات كثيرة (أشـرنا إلى بعضها، فـى الجزء الخاص بالـدورة الحيضيـة، فى الفصل الثانـى المعنون: فسـيولوجيا الجهاز التناسـلى فى الذكر والأنثى)، ومن هـذه الإيذاءات حدوث الالتهابات التـى قد تفضى إلى فقـدان الخصوبة. كما قد يحث أيضا التهاب وانتباذ لبطانة الرحم Endometriosis، وذلك أيضا بسبب فقدان الخصوبة.

□ العمل المجهد للمرأة، وممارسة الرياضات العنيفة.

□ التأخير المبالغ فيه لسن الزواج.

□ التعقيـم الـذى قد تلجأ إليـه المرأة عن طريق ربـط أنابيب فالوب وقطعها.

---

(١) د. محمد على البار (١٩٨٥) مشكلة الإجهاض. الدار السعودية. ص٥.

□ الدوالى والقيلة المائية، وقطع الحبل المنوى فى الرجل.

□ تعرض كل من الرجل والمرأة أو أحدهما إلى الإشعاعات الضارة.

□ يؤدى استعمال العقاقير والمخدرات، بالنسبة للرجل أو المرأة، إلى نقص أو فقدان الخصوبة، أو حتى إلى العقم.

□ بعض الأمراض تسبب العنة، فكثير من مرضى البول السكرى يعانون منها. كما يصاب بها من تُجرى لهم جراحات البروستاتا من كبار السن.

□ العدوى بمسببات الأمراض المختلفة كالبلهارسيا والديدان الخيطية والشريطية وغيرها، لاشك فى أنها من أسباب تدهور صحة الإنسان من نواحيها المختلفة، على المستوى البدنى والجنسى والعقلى بل والنفسى أيضا.

□ من أهم أسباب نقص الخصوبة أو فقدانها لدى المرأة: الأمراض الجنسية، الإجهاض، واستخدام اللولب فى منع الحمل[1].

□ أما إدمان الكحول فيتدخل بشكل ملحوظ فى القوى الجنسية لكل من الرجل والمرأة. وقد أثر عن شكسبير قوله: إن الخمر تشعل الرغبة بيْد أنها تبدد القدرة على الأداء.

ولا شك فى أن الوقوف على الأسباب الحقيقية، لفقدان الخصوبة، يلقى ضوءا كاشفا على الطرق الصحيحة، للوقاية منها أو لمعالجتها.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٧.

مسألة الختان والخفض

قبل أن نخوض فى هذه المسألة، لابد أولا من أن نفرق بين ختان الذكور، وهو إحدى سنن الفطرة السليمة التى أكدتها السنة النبوية المُطهرة، وعادة الخفض أى ختان الإناث، لاسيما الجائر منه، التى تعتبر نكبة، ومأساة حقيقية لكل من الرجل والمرأة على السواء.

أولا ختان الذكور:

ورثت أمة الإسلام هذه السنة الحسنة عن أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقد روى أبو هريرة- رضى الله عنه- حديثا مرفوعا: «اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين بالقدّوم». متفق عليه.

وتعرِّف سيمور سميث ختان الذكور male circumcision فى موسوعتها عن علم الإنسان بقولها: هو عملية إزالة الجلد الزائد من العضو الذكرى، وتجرى كجزء من طقوس التكريس فى مجتمعات عديدة من العالم، كما ينتشر ختان الذكور أيضا فى المجتمعات الصناعية الحديثة، وبين اليهود وجماعات أخرى. ولقد تصدت نظريات عديدة، من منطلق التحليل النفسى، لتفسير أهمية طقوس التكريس الرجالية المصاحبة بالختان، أو جرح الجزء الأسفل من القضيب والذى يطلق عليه

مصطلح subincision، أو جرح الجزء الأعلى من القضيب والذى يطلق عليه superincision، أو بأى تعديلات أخرى فى عضو التناسل[1].

وأخيرا فقد ثاب الغرب إلى رشده وتراجع عن عدائه لختان الذكور بعد أن كشف الطب الحديث فوائده ومزاياه، حيث أكدت الإحصاءات العلمية الحديثة أن ٦٠- ٨٠٪ من الأطفال فى أمريكا يُختَنون، على الرغم من أن غالبيتهم من المسيحيين!

فقد أوضحت الدراسات العلمية والطبية التى ظهرت فى أمريكا قبل أكثر من عشر سنوات أن المختونين من الأطفال الأمريكيين هم أقل عرضة للإصابة بالتهابات المجارى البولية، وأن غير المختونين أكثر قابلية للإصابة بهذه الأنواع من الالتهابات بحوالى ٣٩ ضعفا قدر المختونين. ففى دراسة نشرتها مجلة طب الأطفال Pediatrics عام ٢٠٠٠، أجريت على ٥٠٠٠٠ طفل، أسفرت عن أن ٨٦٪ من التهابات المجارى البولية عند الأطفال، فى السنة الأولى من العمر قد ظهرت فى غير المختونين، وأن تكلفة علاج التهابات المجارى البولية بلغت عند الأطفال غير المختونين عشرة أضعاف ما هى عليه عند الأطفال المختونين. كما قد أوضحت الدراسات الطبية أيضا أن سرطان القضيب

---

(١) شارلوى سيمور- سميث (١٩٩٨). موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. ترجمة مجموعة من علماء علم الاجتماع بإشراف د. محمد الجوهرى. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. ص٣٥٤.

نـادر الحدوث بين المختونـين، فى حين لا يندر حـدوث هذا المرض الخبيث عند غير المختونين.

ونتيجـة لكل ذلك فقد أصدرت المنظمـات الصحية لطب الأطفال فى أمريكا توصياتها عام ١٩٩٩، تدعو إلى ختان ذكور الأطفال[١].

الخفض فى الإناث:

لا تـزال عادة خفض (ختان) الإناث- على الرغم من مهاجمتها وبيان علة انتشـارها فـى الفترة الأخيرة- موجودة فى أماكـن كثيرة، من مدن مصر وقراها، وهى تعتبر أحد أهم عوامل تأزم العلاقات الجنسية، داخل مؤسسـة الزواج، ولها أيضا تأثيراتها السـلبية، على الصحة الجنسـية والنفسية للمرأة، بما لذلك من انعكاسات سلبية على الزواج والأزواج[٢].

وتعرِّف سيمور- سميث ختان الإناث (العادى) clitorectomy فى موسوعتها عن «علم الإنسـان» بقولها: هى عملية نزع البظر كجزء من طقـوس التكريس الخاصة بالإناث بين بعض الجماعات الإفريقية، كما تجـرى أحيانا فى مناطق أخرى من العـالم. أما ختان الإناث (الجائر)

---

(١) د. حسان شمسى باشا (٢٠٠٤). الإعجاز الطبى فى القرآن والسنة والجديد فى علم الطب. مطبوعات «المجلة العربية». المملكة العربية السعودية. العدد رقم ٩٤. ص٢٤.

(٢) سـعيد عكاشة (٢٠٠٦). الجنس والزواج فى مصر.. أى علاقة؟ مجلة «أحوال مصرية». مركز الدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية بجريدة الأهرام. القاهرة. العدد ٣٢، ص٦٥.

female circumcision: فهـو عملية اسـتئصال البظر إضافة إلى إزالة الشـفرة التناسـلية للمرأة فى بعض المجتمعات الإفريقية وغيرها من المجتمعات[1].

وإذا كان هدف العلـم هو الوصول إلى الحقيقة، فلابد أن نتذرع به، ونلتـزم حقائقه ومنهجه. ولكن قبل مناقشـة هذا الموضوع أو غيره من الموضوعات الشائكة، لابد أيضا من إفراغ ما فى جعبتنا أولا، لنشرع من نقطة البداية فى إقامة حوار عقلى هادئ وموضوعى، أساسه العلم؛ لكى نصل فى النهاية إلى الحقيقة المنشودة.

يذكـر أحد أئمة الفقـه والحديث، وهو الإمام ابـن المنذر، من كبار العلماء فى القرن الرابع الهجرى ما نصه: «ليس فى الختان خبر يُرجعُ إليه ولا سـنة تتبع»[2]. ومـن أدبيات هذا الموضـوع الغريبة، ما ذكره أحدهم من أن الخفض فى نسـاء المشرق لا فى نساء المغرب، إذ لا معنى لهـذا التمييز، إذا كان الخفض حقا من المكرمات المسـتحبة، كما يُذكر فى بعض المؤلفات[3]، إذ إن الإسلام قد جاء للمشرقين !

---

(١) المصدر السابق رقم (١)، ص٣٥٣.

(٢) شمـس الحق العظيم أبادى، فى شـرحه أبى داود ١٤/ ١٢٦، نقلا عن: د. محمد سـليم العوا (٢٠٠٥). ختان الإناث فى منظور الإسلام. المجلس القومى للطفولة والأمومة. القاهرة.

(٣) على يوسـف على (١٩٨٥). الإسـلام ومشـكلات العصـر. دار ابن زيدون. بيروت. ص٥٢.

ولما كانت أمور الطب من الأمور الدنيوية التى يُطلبُ رأى المتخصصين فيهـا، إذ إن العالم أو الطبيب هنا يقول بما يعرف، معتمدا على وقائع علمية وأحوال طبيعية ووظائف فسيولوجية، ومن ثم يطلب الفقهاء آراء هـؤلاء العلماء المتخصصين، حتى يبنوا الحكم الفقهى على أسس من العلم والواقع، ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، حينما قال بشأن موضوع تأبير النخل: «أنتم أعلم بشئون دنياكم».

والرأى العلمى كما قدمنا فى ختان الإناث أنه قطع جزئى أو كلى لعضو أو أعضاء تناسلية خارجية فى جسم المرأة، مما يتسبب عنه حرمان المرأة من الوظائف الطبيعية لهذا العضو أو تلك الأعضاء، التى تتمثل فى المتعة الطبيعية المشروعة- دينا- لكل من الزوجين: المرأة والرجل، والتى خلقت من أجلها هذه الأعضاء.

ويذكر الثقات من دارسى هذه المسألة أن هذه الممارسة عادة اجتماعية، هدفها السيطرة على المرأة، والانتقاص من حقوقها؛ ولذلك فإن الفقيه المسلم حينما يطلع على المعلومات والمعارف العلمية والنفسية والاجتماعية الحديثة، حول هذه الممارسة والعادة القديمة، لابد وأن يعيد النظر فى مسألة مشروعيتها، بدلا من تسويغها والدفاع عنها[1].

---

(١) د. محمد سليم العوا (٢٠٠٥). ختان الإناث فى منظور الإسلام. المجلس القومى للطفولة والأمومة. القاهرة.

والمسوغات العلمية، التى تقتضى بطلان هذه العادة الضارة، والتوقف عن ممارستها، مؤسس على ما يلى:

أولا: التوصيف العلمى والطبى لهذه الممارسة، وقد قدمنا بعضها- فهى ليست زوائد أو فضلات لا قيمة أو لا وظيفة لها، ولكنها خلايا وأنسجة حية مزودة بأعصاب وشرايين وأوردة دموية ولها وظائف محددة.

ثانيا: الوظائف الفسيولوجية التى خلقت من أجلها هذه الأعضاء، فى جهاز الأنثى التناسلى، وقد أشرنا إلى أهمها، ومنها أيضا: حماية الأعضاء التناسلية الداخلية، وتوفير بعض الإفرازات الطبيعية، التى من شأنها تسهيل عملية الجماع دون ألم، بل زيادة إحساس كل من الرجل والمرأة معا بمتعة الصلة الحميمة بينهما. أما بالنسبة للمرأة فهو أكثر أهمية فى تحقيق الإشباع والارتواء الجنسى- وهو لاشك أمر مطلوب شرعا وإنسانيا- بطريقة أكثر يسرا وسهولة. وفضلا عن كل ما سبق فإن وجود وسلامة هذه الأعضاء يؤدى إلى توجيه تيار البول إلى الخارج بعيدا عن جسم الأنثى وبالتالى يحافظ ذلك على نظافة أعضائها والأجزاء المحيطة من جسمها من التلوث فى أثناء عملية التبول.

ثالثا: الآثار الصحية والنفسية الضارة المترتبة على ممارسة هذه العادة، سواء على الفتاة الصغيرة (فى أثناء هذه العملية) أم على المرأة الناضجة بعد زواجها. فعلى مستوى الفتاة الصغيرة فإن هذه العملية

تترك أثرا سيئا من الناحية النفسية للآلام المبرحة التى تصاحبها والمضاعفات التى تتبعها والمخاطر الصحية التى قد تودى بحياتها. أما معاناة المرأة الناضجة، التى أجريت لها هذه العملية، فتتمثل فى إعاقة وحرمان هذه المرأة، جزئيا أو كليا، من الوظائف الطبيعية لهذه الأعضاء، تبعا لدرجة ونوع البتر الذى ينجم عن عملية الختان، وتظل تعانى منه طوال حياتها.

رابعا: الأسباب الاجتماعية لهذه العادة، أى الدوافع التى تجعل الأسرة المصرية حريصة على ختان بناتها، وتتلخص هذه الدوافع فى بعض المعتقدات الخاطئة وهى: أن الختان يسهم فى تقليل وتهذيب الرغبة الجنسية للفتاة والمرأة المتزوجة؛ وبالتالى يحافظ على العفة والشرف، وينسون أن المحافظة على العفة والشرف أمر يتعلق بالتربية والتدين ولا علاقة له مطلقا بالختان.

وهم يعتقدون خطأ أن المرأة غير المختتنة ترهق الرجل فى العلاقة الزوجية، أما المرأة المختتنة فهى أكثر هدوءا وقناعة فى طلب الجنس والرغبة فيه؛ تصون شرف زوجها فى حالة مرضه أو غيابه. كل هذا لضمان سعادة الرجل ورضاه عن العلاقة الزوجية واطمئنانه على سلوك زوجته وعفتها، وقد ذكرنا آنفا أن التربية والتدين والفطرة السليمة هى الأساس، وليس أى شىء آخر.

هناك أيضا بعض التصورات الأسطورية حول حجم ودور الأعضاء التناسلية للمرأة، ومنها أن الختان يساعد الفتاة على أن تصير امرأة ناضجة، صالحة للزواج والإنجاب، وهو ما أشرنا إليه آنفا بطقوس التكريس. كما أن هناك اعتقادا خاطئا، بأن الختان يساعد الفتاة على التخلص من أجزاء نجسة، غير مرغوب فيها، ومن ثم فإنه يخلصها منها حتى تصبح جميلة ونظيفة.

تغيير خلق الله:

ومن ناحية أخرى- فكما يذكر الدكتور سليم العوا، في رسالته الرائعة حول «ختان الإناث في منظور الإسلام»- فإن الله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ التين: الآية ٤، فيأتي بعض الناس ليدَّعوا أن ختان الإناث هو تجميل للأنثى، وكأن الله قد خلق جسد المرأة بعيب وخطأ وهم يقومون بتعديله وتجميله! وحاشا لله. فعلى عكس ما يقولون فإن ختان الأنثى هو تغيير وتشويه لخلق الله تعالى بالجرح والقطع، في حين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن تغيير خلق الله، وصح عنه- صلى الله عليه وسلم- لعن «المغيرات خلق الله»، والقرآن الكريم جعل من المعاصي قطع بعض الأعضاء ولو من الحيوان، بل هو مما توعد الشيطان أن يضل به بني آدم في أنعامهم، وقرنه بتغيير خلق الله بشكل عام.

الإسلام وحق المرأة فى علاقة زوجية ناجحة:

ومن ناحية ثالثة، فإن الإسلام يدعو إلى احترام العلاقة الجنسية بين الرجل وزوجته، وإلى حق كل طرف على شريكه، فى تحقيق علاقة سعيدة ناجحة، لا أنانية فيها أو عدم اكتراث بالطرف الآخر. فهذا الإشباع فى إطار من الزواج الشرعى الحلال هو من أمور الفطرة، ولذلك فقد ورد فى القرآن الكريم، من قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣، والتقديم للنفس إشارة إلى التهيئة والملاطفة حتى تتمكن المرأة من الحصول على متعتها. وقد ورد أيضا فى السنة المطهرة: «إذا أتى أحدكم أهله، فليغمزها ويلمزها حتى إذا رأى منها ما رآه من نفسه أولج»، و «إذا جامع الرجل أهله، فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها». فكيف يتأتى للمرأة أن تقضى حاجتها وقد حرمت من ذلك بقطع الأعضاء التى تساعدها فى تحقيق هذه الوظيفة الحيوية[1].

وغاية ما ذهب إليه بعض المعتدلين أن الخفض مكرمة، والمراد بها كما قال العلامة التتائى أنه كرامة بمعنى «مستحب»، إلا أننا خرجنا خروجا بيّنا عن الإطار الصحيح، وارتمينا فى مفسدة كان الدين ولا يزال منها براء، حيث خالفنا سنة المصطفى- صلى الله عليه وسلم-

---

(١) المصدر السابق، ص١٧.

وأنـذر وأعلنها صريحـة للصحابية الجليلة أم عطيـة قائلا: «اخفضى ولا تنهكـى»[1]. وعليـه فمن أخذ فى الخفض أكثر من جزء بسـيط من الناتئ بين الشـفرين- أى البظر- فقد ضل ضلالا بعيدا، وارتكب جرما عظيما، فى حق بناته، أو بنات غيره يسـتحق عليه عذاب الله وغضبه، كمن شـوَّه مختارا فى خلق الله. وبدل طائعا فيه.. وهو الذى أبدع خلقه وصوره فأحسـن صوره، وجعله فى أحسـن تقويـم، ولئن تُرك الخفض جملـة واحدة لكان خيرا مما يفعلون! ثـم يعقب على ذلك فيقول: وإن تعجب فعجب أن تؤدى فضيلة، بـوازع الحماقة إلى رذيلة، ومكرمة، بدافع الجهل إلى مندمة، وتنقلب مصلحة إلى مفسدة[2]!

وجاء مؤخـرا، فى جريدة الأهرام، أنه قد سـبق لفضيلة الأسـتاذ الدكتور على جمعة، مفتى جمهورية مصر العربية، أن قال: إن الختان ليـس قضية دينية أو تعبديـة فى أصلها إنما هى مـن قبيل الموروثات والعادات، حيث إن هذه الظاهرة قد انتشـرت بـين دول حوض النيل قديما، ثم انتقلت لبعض العرب.

---

(١) هذا إذا صح هذا الحديث عن النبى- صلى الله عليه وسـلم- أصلا. فقد ورد فى «فقه السـنة» للشـيخ السيد سابق أن: «أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شىء»: «فقه السنة»: الجزء الأول. ص٣٧.

(٢) المصدر السابق رقم ٣ المدرج بالصفحة ١٤٠؛ ص ٥٦.

ثم يضيف فضيلته: لم يرد عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أنه ختن بناته. كما لم يرد أيضا نص شرعى صحيح يأمر المسلمين بختان الإناث. وقد كان استمرار هذه العادة من باب المباح عند عدم ظهور أضرار لها، لكن مع ثبوت تلك الأضرار، التى قد تصل إلى حد الموت- كما يقرر الأطباء- يكون منعه أَوْلى[1].

وفى هذا السياق، ذكرت الصحيفة أن الدكتور محمود حمدى زقزوق، أستاذ الفلسفة، ووزير الأوقاف المصرى، قد ذكر فى تصريحات سابقة ما يلى: الختان اعتداء على الأنثى وخلق الله، وليس له ما يبرره، سواء من الناحية النقلية أم العقلية، ولذلك فإن مصر تقاوم ظاهرة الختان منذ عام ١٩٢٠، غير أن أول قرار يجرمه وينص على غرامة فاعله قد صدر عام[2] ١٩٥٩.

---

(١) جريدة الأهرام القاهرية، بتاريخ ١٩/ ٣/ ٢٠٠٧، ص١٣.

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

خاتمة

الذكر والأنثى: مساواة أم تكامل ؟

الرجل والمرأة

شـريكان فى الحياة، ويطلق لفظ «الزوج» فى اللغة ليدل عليهما معا أو علـى أى منهما. والله تعالى حينما يخاطب المكلفين بما افترضه عليهم يجعل «الإنسان» أو «الناس» موضع الخطاب، وهمـا لفظتان لا مذكـر ولا مؤنث لهما، فهما يشـملان كلا من الرجل والمرأة على السواء، وهذه المساواة اللغوية قد واكبتها مساواة شرعية فى كثير من الحقوق والواجبات؛ حتى يُطلق كل منهما ملكاته، التى يمكن استثمارها، لصالح الحياة ولخير المجتمع ككل.

متكاملان ومختلفان أيضا:

والذين يتشـدقون- اليوم- بحقوق المرأة، ربما يجهلون أن الإسـلام، متمثـلا فى دسـتوره الخالد: القرآن الكريم، قد سـبق كلَّ من تزلفوا إلى المرأة فى العصر الحديث، سـواء فى الشـرق أم فى الغرب، مدَّعين أنهم رواد تحريرها وسدنة حقوقها، متصورين أن هذه الحقوق طارئة علينا، أو بضاعـة مجلوبة إلينا مـن الغرب! لقد رفع الإسـلام مكانة المرأة بل

وأوضح القرآن الكريم أن أرومتها هى من نفس أرومة الرجل، ومن كان شأنه كذلك كان قسيما فى كل شىء، له ما له وعليه ما عليه، ثم إنها أحد العنصرين اللذين تنشأ منهما الأبناء والذرية. وفى القرآن الكريم سورة من السور الطوال باسم «النساء»، يقول الله تعالى فى صدرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ النساء: ١.

وفى هذا بيان واضح لا لبس فيه، أن الله تعالى قد خلق كلا من الرجل والمرأة من نفس واحدة، وفى التعبير القرآنى «وخلق منها زوجها» إشارة إلى ذلك الأصل الواحد الذى خلق منه الله تعالى الزوجين، وإن اختلفا فى بعض الخصائص؛ إذ كونهما من أصل واحد يؤدى إلى الميل العاطفى والنفسى ومن ثم إلى المودة والتراحم؛ وبهذا تتم النعمة ويكتمل السرور ويعمر الكون.

وفى موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ الأعراف: ١٨٩.

وهنا تجدر الإشارة إلى شىء مهم نستلهمه من الطبيعة الواحدة والأصل الواحد لكل من الذكر والأنثى، الواضح فى هذه الآية والتى سبقتها، وهو أن علاقة الجزءين الناتجين عن شىء واحد، هى علاقة

توافق وتكامل تشبه علاقة «القفل» بـ« مفتاحه». فالمساواة لا تعنى إهدار جميع الفروق بين الجنسين، وهى أيضا لا تمسخ المميزات التى تميز كل جنس عن الآخر، بل إن هذه الفروق هى التى تؤكد عملية التطابق والتكامل التى أشرنا إليها، فالسالب هنا ينجذب بحكم طبيعته إلى الموجب هناك ، فيحدث التكامل وتتوثق الروابط والعرى. ويتم «السكن» الذى أشار إليه القرآن الكريم. وعلى ذلك فإن المساواة التى تجعل الإناث يتنكرن لفطرتهن، ويتمردن على طبيعتهن فإنها تخرجهن من دنيا النساء، وتخفق أيضا فى الوقت ذاته فى أن تلحقهن بعالم الرجال. وعلى ذلك لا تجد المرأة «المسترجلة» رجلا كامل الرجولة، تهفو نفسه إليها، وبالمثل لا تجد رجلا مخنثا، يروق فى أعين النساء.

ومن الوجوه التى تتمايز فيها المرأة عن الرجل ويختلفان فيها اختلافا يتماشى مع وظيفة كل منهما من الناحية البيولوجية والوظيفية، اختلافات فى بعض الخصائص التركيبية والتشريحية للجسم، كتركيب منطقة الحوض، وفى توزيع الشحوم والشعر، وتركيب العضلات، وفى النسق الهرمونى المرتبط بالجنس والوظائف النوعية، وفى بعض المعايير الخاصة بالصوت، إلى غير ذلك من الخصائص النوعية.

وكلها اختلافات تعزز طبيعة المرأة من حيث هى أنثى، وتميز طبيعة الرجل من حيث هو ذكر، حتى تتكامل وظيفتهما معا؛ لاستمرار بقاء النوع البشرى. فهى اختلافات راجعة إلى الطبيعة البيولوجية لكل منهما،

ولها دواعيها لقيام كل منهما بوظائفه النوعية والفسيولوجية. ومن ثم فلا تؤثر هذه الفروق فى مكانة أى منهما كإنسان. ومع كل ذلك. لن تجد فروقا جوهريـــة أو كبيرة، خاصة بوزن المخ أو تركيبه بشـــكل عام، أو فروقا فى قوة الحواس، أو فى المواهب والنوازع الإنســـانية العامة، ولذلك فإنهما- فى الإسلام- متفقان فى معظم التكاليف الشرعية، إلا تحت ظروف معينة مرتبطـــة بوظائف المرأة النوعية؛ ولذلك فقد قرر القرآن الكريم، فى وضوح تام، هذه الحقيقة الناصعة، وهى اختلاف النوعين: الذكر والأنثى، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾. آل عمران: ٣٦.

إذن فقضيـــة الخلاف على الحقوق والواجبات بـــين الرجل والمرأة.. ذلـــك لأن الناس تحســـب أن الرجل والمرأة خلقا متنافســـين.. ولكنهما خلقـــا متكاملين، أى يكمـــل كل منهما الآخر. فالرجـــل له وظيفته فى الســـعى على الرزق.. ورعاية زوجته وأولاده.. وتوفير أســـباب الحياة لهـــم. والمرأة لها مهمتهـــا فى رعاية البيت وإنجـــاب الأولاد.. وتكون مســـكنا للزوج حينما يعود إلى بيته متعبا من حركة الحياة.. تســـتقبله بابتســـامة تمسح له شقاء اليوم.. ويجد كل ما يحتاجه فى بيته معدا.. ولذلك قال تعـــالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: ٢١.

وهنا حدد الله سبحانه وتعالى المهمة المتكاملة للرجل والمرأة .. فكلاهما يكمل الآخر.. فالرجل لا يصلح لمهمة المرأة فى إنجاب الأطفال ورعاية البيت، وتربية الأولاد والعناية بهم.. ولا المرأة مهمتها الأساسية أن تسعى فى سبيل الرزق؛ لتوفر لقمة العيش للرجل، وليس هذا على مستوى الأمة الإسلامية، ولكنه القانون السائد الذى وضعه الله سبحانه وتعالى فى الكون كله. فلا يوجد رجل يبقى فى البيت وامرأته تعوله وهو قادر على الكسب، إلا نال احتقار الناس بما فيهم زوجته، ولا توجد امرأة إلا تتمنى أن تعيش فى حماية رجل يوفر لها كل شىء ويرعاها.

تلك سنة الله فى كونه، بصرف النظر عن الإيمان وعدم الإيمان. ومن تمام الحياة أن يؤدى كل إنسان مهمته فيها، ولكن ما الذى حدث؟ لقد أخذت القضية مسارا غير مسارها، وأصبح هناك شبه معركة بين الرجل والمرأة.. فلا المرأة قنعت بدورها ومهمتها، ولا الرجل رضى بمهمة المرأة فى الحياة، بل كلاهما دخل معركة متعاندة.. وهذا هو الذى أوجد القضية التى ما كان يجب أن توجد لو أن كلا منهما رضى بمهمته فى الحياة. لكن المرأة أصرت على أن تزاحم الرجل فى العمل.. والرجل استسلم لمزاحمة المرأة.. بل ودفعها إلى ذلك، فما الذى حدث؟ حدث اختلال فى المجتمع.. بعض الناس يقول: إن الضرورة اقتضت عمل المرأة، بينما نحن لا نتحدث هنا عن وضع الضرورة أو الوضع الشاذ أو الاستثناء.. ولكننا نتحدث عن الأمور الطبيعية.

مكانة المرأة فى الأمم الأخرى:

وقبل أن نتعرض للمكانة السامية، التى وضع القرآن الكريم، والإسلام- بشكل عام-، المرأة فيها، والحقوق التى خوّلها لها، فلعله من الإنصاف- ونحن فى عصر يفترى فيه المفترون فيغمزون ويلمزون، ويعيدون ويزيدون حول وضع المرأة ومكانتها المتدنية فى الإسلام وبلاد المسلمين- أقول لعله من الإنصاف والمفيد فى هذا السياق أن نلقى نظرة سريعة على مكانة المرأة فى الأمم التى تدين بغير الإسلام- سواء قبله أم بعده- لنرى فى ضوء هذه المقارنة مقدار التكريم الذى حظيت به المرأة فى ظل الإسلام.

ففى بلاد الإغريق، وهم أكثر الأمم القديمة حضارة، اعتبرت المرأة من سقط المتاع، بل إنها كانت تباع وتشترى فى الأسواق، واعتبروها رجسا من عمل الشيطان، وحرموا عليها القيام بأية أعمال سوى تدبير المنزل والعناية بالأطفال. وعلى ذلك فإن الثقافة اليونانية فى إبان ازدهارها لم تعط المرأة شيئا تعلو به عن مقام الأنثى فى المجتمعات البدائية، وتركتها فى عزلتها بالمنزل تنزوى فيه بعيدة عن مكان الزوج الذى يستقبل فيه أصحابه ويولم فيه ولائمه، وعزلتها فى المجتمع من باب أولى، كما عزلتها فى بيتها كلما استغنى عنها زوجها. وحتى أفلاطون، فى مدينته الفاضلة، قد رشحها خياله أن تعتبرها الأمة

ملكا مشاعا تنجب النسل لمن يختارها من الرجال، وتتسلمه منها الأمة لتتوفر على تربيته: أى إن المثل الأعلى للنساء فى المدينة الفاضلة أنهن حظيرة مباحة من الإناث، تؤدى وظيفة الولادة، كما تؤديها إناث الحيوان، ثم تستكثر عليهن المزايا الشخصية التى تجعلهن أمهات أفضل من أمهات الحيوان.

أما فى بلاد الهند، فقد اعتبروها شرا أعظم من الوباء والموت والجحيم والسم والأفاعى والنار. فشريعة «مانو» فى الهند لم تكن تعرف للمرأة حقا مستقلا عن حق أبيها أو زوجها أو ولدها فى حالة وفاة الأب والزوج. فإذا انقطع هؤلاء جميعا وجب أن تنتمى إلى رجل من أقارب زوجها فى النسب ولم تستقل بأمر نفسها فى حالة من الأحوال. وأشد من نكران حقها فى معاملات المعيشة نكران حقها فى الحياة المستقلة عن حياة الزوج، فإنها مقضى عليها بأن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه على موقد واحد، وقد دامت هذه العادة العتيقة من أبعد عصور الحياة البرهمية إلى القرن السابع عشر، وبطلت بعد ذلك على كره من أصحاب الشعائر الدينية.

أما اليهود فلم يكونوا أكثر رحمة من الهنود، فقد جاء فى «سفر الجامعة»: «دُرت أنا وقلبى لأعلم وأبحث ولأطلب حكمة وعقلا ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمرّ من الموت المرأة، التى هى شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود... رجلا واحدا بين ألف

وجـدت، أما امـرأة واحدة فبين كل أولئك لم أجـد». وقد تواترت أقوال أناس من المؤرخين الغربيين، أن الإسلام ينقل شريعته من الشرائع التى تقدمته ولاسيما الشريعة الموسوية. ولا يتضح بطلان هذه الدعوى من شيء كما يتضح من المقابلة بين مركز المرأة، فى حقوقها الشـرعية، كما نصت عليها كتب التوراة، ومركز المرأة كما قررها الإسلام بأحكام القرآن.

أما فـى روما، فقد اجتمـع مجمع كبير، وبحث فى شـئون المرأة، فقـرر أنهـا كائن لا نفس لـه، وأنها لن ترث الحيـاة الأخروية لهذه العلة، وأنها رجس يجب ألا تأكل اللحم، وألاَّ تضحك، بل وألاَّ تتكلم؛ ولذلـك فقد جعلوا على فمها قفلا من حديد! هذا غير العقوبات البدنية التى كانت تتعرّض لها، باعتبار أنها أداة للإغواء ويستخدمها الشيطان لإفساد القلوب!

أما فى فرنسـا، فقد عقد عام ١٥٨٦م اجتمـاع كان مدار البحث فيه حول السـؤال: أتعد المرأة إنسـانا أو غير إنسان؟ وقد أفضى البحث إلى أنها إنسان، غير أنه مخلوق لخدمة الرجل!

أما فى انجلترا، فقـد أصدر الملك هنرى الثامن أمرا بتحريم مطالعة الكتاب المقدس على النسـاء. كما أن النساء كن طبقا للقانون الإنجليزى العام، حتى سـنة ١٥٨٠م غير معدودات مـن المواطنين، ولم يكن لهن حقوق شـخصية ولا حق لهن فى تملك ملابسهن، ولا حتى فى الأموال التى يكسبنها بعرقهن!

مكانة المرأة فى القرآن:

كانت المرأة، فى بلاد العرب، قبل بعثة النبى- صلى الله عليه وسلم- ممتهنة، فى كثير من أحوالها، فلم تكن لها إرادة بجوار إرادة أبيها أو وليها، فإذا تزوجت انتقلت السلطة المطلقة من الولى إلى الزوج، فلما جاء الإسلام جعل لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات. وكانت قبل ذلك عليها واجبات وليس لها حقوق، كما كان الأمر بالنسبة للرقيق، فجاء القرآن وفصل فى تلك القضية التى تربط الحق بالواجب، كما تسوى بينهما أمام القانون وفى الحقوق العامة؛ ذلك أنه يتفق والبديهة العقلية، قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ ﴾ البقرة ٢٢٨.

كما قرر القرآن الكريم مساواة النساء بالرجال، فيما هو من خصائص الإنسانية، فشرع الكسب للنساء كالرجال، وأرشد كلا منهما إلى تحرى الفضل والخير من الأموال بالعمل دون التمنى، وأنه ليس للرجل أن يسلب المرأة من العمل الذى خلقت له، كما أنه ليس للنساء أن يطمعن فيما وراء مؤهلاتهن الفطرية، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ ﴾ النساء: ٣٢.

وقد بنيت حقوق المرأة فى القرآن الكريم على أعدل أساس يتقرر به إنصاف صاحب الحق، وإنصاف سائر الناس معه، وهو أساس المساواة

بين الحقوق والواجبات، فالمساواة ليست بعدل إذا قضت بمساواة الناس في الحقوق على تفاوت واجباتهم وكفاياتهم وأعمالهم، وإنما هي الظلم كل الظلم للراجح والمرجوح. فإن المرجوح يضيره ويضير الناس معه أن يأخذ فوق حقه. وكل ما ينقص من حق الراجح يضيره لأنه يغل من قدرته، ويضير الناس معه لأنه يحرمهم ثمرة تلك القدرة. وعلى ذلك قال أحكم العادلين في عجُز الآية ٢٢٨ من سورة البقرة: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾.

أما في تقرير ثواب الأعمال الصالحة، فقد سوّى القرآن الكريم بين النساء والرجال، وفي هذا يقول الله جل شأنه: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ آل عمران: ١٩٥. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ النساء: ١٢٤.

كما رفع القرآن شأن المرأة عن أن تكون متاعا، يورثُ كما تورث الأموال، وفرض لها حرية في ذاتها وأموالها، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ النساء: ١٩.

ثم إن المرأة لم تكن ترث، في أي مجتمع قبل المجتمع الإسلامي، فقرر الإسلام حقها في الميراث في قوله تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا

تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ النساء: ٧.

والذى يتأمل الآية السابقة يجد أنها تثبت هذا الحق للمرأة بنفس الكلمات التى تثبت حقوق الرجل، فنفس الكلمات هى هى، تتكرر فى حالة الرجل وفى حالة المرأة، ثم تواصل الآية التأكيد أن هذا النصيب لازم فى الميراث: القليل منه والكثير، حتى لا يسوغ البعض حرمان النساء منه إذا كان قليلا، فالقرآن يعتبره: «نصيبا مفروضا».

كما قرر القرآن الكريم نظاما للزواج فيه تكريم للمرأة والأسرة، فحظر الزواج من أصناف معينة حفظا للروابط الأسرية، فأبطل زواج الابن من زوجة الأب، وزواج الأب من حليلة الابن، كما حرّم زواج الأمهات والبنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت والمرضعات والأخوات من الرضاعة وأمهات النساء والربائب، كما حظر الجمع بين الأختين، كما حرّم زواج المتزوجات والمعتدات، حفظا للأنساب، ودرءا لاختلاط الأنساب، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم

مِن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ النساء: ٢٢- ٢٤.

كما أوجب على الرجل أن يبذل مالا أسماه القرآن «صَدُقَة» «الصَّداق» «المهر» تُمنح عن طيب خاطر وبدون مقابل «نحلة»، آية من آيات المحبة والتقدير، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ ﴾ النساء: ٤.

وهذا قليل من كثير، يوضح أن شريعة الإسلام ودستوره الخالد القرآن، قد قررا أن المرأة هى صاحبة هذه الحقوق لأنها من خلق الله، على أساس من المساواة العادلة بين الحقوق والواجبات.

المراجع

١- الأستاذ عباس محمود العقاد (١٩٥٩): المرأة فى القرآن الكريم. دار الهلال. القاهرة.

٢- الأستاذ عفيف عبد الفتاح طبارة (١٩٧٣) روح الدين الإسلامى. الطبعة العاشرة. دار العلم للملايين. بيروت.

٣- الشيخ محمد أحمد أبو زهرة (١٩٨٦): المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام. دار الإخلاص للطباعة. القاهرة.

٤- الشيخ محمد متولى الشعراوى (١٩٩٠). المرأة فى القرآن الكريم. سلسة مكتبة الشعراوى الإسلامية. دار أخبار اليوم بالقاهرة.

٥- د. محمد سيد طنطاوى (٢٠٠٤): حديث القرآن عن الرجل والمرأة. سلسلة البحوث الإسلامية. السنة الخامسة والثلاثون. الكتاب الثالث.

٦- الشيخ محمود شلتوت (١٩٤٨) النساء فى القرآن الكريم. مجلة الرسالة، العدد ٧٥٧.

المحتويات

الصفحة

مقدمة.....٧
التركيب التشريحى للجهاز التناسلىفى كل من الذكر والأنثى....١٥
فسيولوجيا الجهاز التناسلى فى كل من الذكر والأنثى.....٣١
سيكولوجية الجنس والحب والزواج.....٥٢
الحمل والولادة والرضاعة الطبيعية.....٦٩
من المسئول عن تحديد جنس الوليد؟.....٨٧
زواج الأقارب واليوجينيا.....٩٤
وسائل تنظيم الأسرة.....١٠٢
الأمراض التناسلية.....١١٢
لعنة العُنة والعقم.....١٢٠
مسألة الختان والخفض.....١٣١
خاتمة.. الذكر والأنثى مساواة أم تكامل؟.....١٤٢
المراجع.....١٥٤

العدد القادم	جميل بثينة عباس محمود العقاد

الاشتراكات

اشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الاشتراك السنوى :

- داخل جمهورية مصر العربية ٦٠ جنيهًا.
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٨٠ دولارًا أمريكيًا.
- الدول الأجنبية ٩٠ دولارًا أمريكيًا.

تسدد قيمة الاشتراكات مقدمًا نقدًا أو بشيكات بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل – ماسبيرو – القاهرة